العنوان:	الرمز في الموروث البلاغي و النقدي العربي
المصدر:	آداب الرافدين
المؤلف الرئيسي:	اليوزبكي، مؤيد محمد صالح
المجلد/العدد:	ع 27
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1995
الناشر:	جامعة الموصل - كلية الآداب
الشهر:	نيسان
الصفحات:	184 - 192
رقم MD:	160064
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الكناية، البلاغة العربية، اللغة العربية، النقد اللغوي، التراث اللغوي، الرمزية في اللغة، التشبيه، علم البديع، البلاغيون العرب

الرمز في الموروث
البلاغي والنقدي العربي

الدكتور
مؤيد محمد صالح اليوزبكي
مدرس في قسم اللغة العربية
كلية الآداب / جامعة الموصل

توطئة

يتوخى هذا البحث استقصاء آراء البلاغيين والنقاد العرب القدامى عن مفهوم الرمز بغية استنباط الخطوط الفكرية العامة التي تنطوي عليها تلك الآراء، والتماس قاسم مشترك بينها يعين على تحديد معالم مفهوم الرمز في التراث البلاغي والنقدي العربي. إنه سعي لتأصيل المفهوم على نحو مقيد بالضرورة بدلالة لفظ الرمز وحدودها لدى البلاغيين والنقاد العرب القدامى لتحديد مدى صلتها بدلالة مفهوم الرمز الأدبي الحديث من خلال تبيان طبيعته واستخلاص مستوياته .

للرمز في مظان التراث البلاغي والنقدي العربي حدود متباينة من التعريف والتفسير . فهذا (ابن وهب الكاتب) يرى أن المتكلم يلجأ إلى استعمال «الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والافضاء به إلى بعضهم فيجعل للكلمة أو للحرف اسماً من اسماء الطيور والوحش ، أو سائر الاجناس ، أو حرفاً من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك الموضع من يريد أفهامه رمزه . فيكون ذلك قولاً مفهوماً بينهما ، مرموزاً عن غيرهما . وقد أتى في كتب المتقدمين والحكماء والمتفلسفين من الرموز شيء كثير وكان أشدهم استعمالاً للرمز افلاطون . وفي القرآن من الرموز أشياء عظيمة القدر ، جليلة الخطر ، قد تضمنت علم مايكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات

ومُدَد كل صنف من ذلك وانقضائه ، ورمزت بحروف المعجم ، وغيرها من الأقسام ، كالتين والزيتون ، والفجر ، والعاديات ، والعصر ، والشمس واطلع عليها الأئمة المُستَودَعُون علم القرآن . ولذلك قال أمير المؤمنين — عليه السلام — : مامن مائة تخرج الى يوم القيامة إلا وأنا أعلم قائدها وباعثها وأين مستقرها في جنة أو نار» (١) .

وحيث يعرف (ابن رشيق) الاشارة بأنّها «في كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملاً ، ومعنى بعيد من ظاهر لفظه»(٢) يعد الرمز أحد أنواعها ويمثل له بقول «أحد القدماء يصف امرأة قُتل زوجها وسُبيت :

عقلتُ لها من زوجها عدَدَ الحصَى مع الصبح أو مع جنح كُلِ أصيل

يريد : اني لم أعطها عقلاً ولا قوداً بزوجها ، إلا الهم الذي يدعوها إلى عد الحصى» (٣) .

---

(١) البرهان في وجوه البيان : ١٣٧ — ١٣٨ .

(٢) العمدة : ١ /٣٠٢ .

(٣) المصدر السابق : ١/٣٠٥ . يجدر بالذكر ، هنا ، أن (قدامة بن جعفر) قد سبق (ابن رشيق) في تعريف الاشارة بكونها اللفظ القليل المنطوي «على معان كثيرة بإيماء اليها ، او لمحة تدل عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال : هي لمحة دالة» ومثل لها بقول امرىء القيس :

فإن تهلك شنوءة أو تبدل فسيري ان في غسان خالا
لعزهم عززت وإن يذلوا فذلهم أنالك ما أنالا

فبنية هذا الشعر على ان الفاظه مع قصرها قد اشير بها الى معان طوال ، فمن ذلك قوله «تهلك او تبدل» ومنه قوله «ان في غسان خالا» ومنه ما تحته معان كثيرة وشرح وهو قوله «أنالك ما أنالا» ، (نقد الشعر : ١٥٥) . بيد أن (قدامة بن جعفر) لم ير في الإشارة معنى الرمز خلافاً (لابن رشيق) الذي لم يقتصر في تعريفه للاشارة «على ما يفيد الإيجاز — كما فعل قدامة — وانما أضاف الى الإيجاز غير المباشرة في الدلالة» .

(الرمزية في الأدب العربي : ٤٧)

على حين يعد(النويري) الرمز أحد أنواع اللغز(٤) ، أو أسمائه التي منها «المعاياة ، والعويص ، والرمز ، والمحاجاة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والاشارة ، والتوجيه ، والمعمى والممثّل ومعنى الجميع واحد ، واختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته فإنك اذا اعتبرته من حيث أن واضعه كان يعايبك ،أي يظهر اعياءك وهو التعب ، سميته عويصاً ، واذا اعتبرته من حيث أنه قد عمل على وجوه وأبواب ، سميته لغزاً ، وفعلك له : الغازاً ، واذا اعتبرته من حيث أن واضعه لم يفصح عنه قلت : رمزٌ ، وقريب منه الاشارة..» (٥) .

أما(ابن ابي الاصبع المصري) فقد تحدث عن الرمز والايحاء وقال «إنه من مبتدعاته مع ان ابن رشيق وغيره تكلموا على الرمز» (٦) .

وأشار إلى أن «فحواه أن يريد المتكلم اخفاء أمر ما في كلامه مع ارادته افهام المخاطب ماأخفاه فيرمز له في ضمنه رمزاً يهتدي به إلى طريق استخراج ماأخفاه من كلامه والفرق بينه وبين الوحي والاشارة ان المتكلم في باب الوحي والاشارة لايودع كلامه شيئاً يستدل منه على ماأخفاه لا بطريق الرمز ولا غيره بل يوحي مراده وحياً خفياً لايكاد شيئاً يعرفه إلا أحذق الناس فخفاء الوحي والاشارة أخفى من خفاء الرمز والايماء . والفرق بينه وبين الالغاز ان الالغاز لابد فيه مايدل على المعمى فيه بذكر بعض أوصافه المشتركة بينه وبين غيره وأسمائه فهو أظهر من باب الرمز» (٧) .

وأما (عبدالقاهر الجرجاني)فيبرز جانب الغموض والخفاء في الرمز ووقعه الجمالي البلاغي ازاء التصريح بـ« اثباتك الصفة للشيء تثبتها له إذا لم تلقه إلى السامع صريحاً وجئت اليه من جانب التعريض والكناية والرمز والاشارة ،

(٤) يذكر (النويري) : «قالوا : واشتقاق اللغز من الغز اليربوع والغز : إذا حفر لنفسه مستقيماً ، ثم اخذ يمنة ويسرة ليواري بذلك ويعمى على طالبه» (نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٢/٣—١٦٣) .

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦٢/٣ – ١٦٣ .

(٦) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٢٥/٣ .

(٧) بديع القرآن : ٣٢١ ..

كان له من الفضل والمزية ، ومن الحسن والرونق ،مالايقل قليله ، ولايجهل موضع الفضيلة فيه » (٨) .

ويصنف (السكاكي)الرمز ضمن أنواع الكناية من : تعريض ، وتلويح وايماء ، واشارة مفرداً إياه عن سائر هذه الأنواع بميزة الخفاء «فإن كان فيها نوع خفاء ، فالمناسب أن تسمى رمزاً ،لأن الرمز هوأن تشير الى قريب منك على سبيل الخفية ، قال :

رَمَزَتْ إليَّ مخافَةً من بَعْلِها من غير أن تبدي هناك كلامَها

وإلا ، فالمناسب أن تسمى ايماءً واشارة(٩) ، كقول ابي تمام يصف ابلا :

أبَيْنَ ، فما يَزُرْنَ سوى كريم وحَسْبُكَ أن يزُرْنَ أبا سعيد

فإنه في افادة ان ابا سعيد كريم غير خاف» (١٠) .

ويذكر (ابن الأثير) : «انه قد تتلازم الأمور وتترادف حتى يكون الشيء لازماً لأمر ، وذلك الأمر لازماً لأمر آخر ورديفاً له ، فإن كثرت الأرداف والوسائط فإنه يكون خفياً جداً ، كالألغاز والتَعْمية التي تراض بهما الإذهانُ . فما وقع من هذا الباب لقصد سُمِّيَ كناية أو تعريضاً إذا قارب الظُهورَ ، وأما إذا أوغل في خفائه سمي لغزاً ، أو رمزاً» (١١) .

إن مايمكن اجماله من الحدود المتباينة في تعريف الرمز وتفسيره عند قدامى العرب من البلاغيين والنقاد هو أن الرمز :

١ ـ اصطلاح يقوم اكتناه معناه أو معانيه على معرفة مشتركة ، بين المتكلم وفئة خاصة من الناس ، بمفاتيح نظام مغلق من البدائل الداخلية من

---

(٨) دلائل الإعجاز : ٢٣٦ – ٢٣٧ .

(٩) يشير الدكتور (عبدالله الطيب) الى أن «الكناية لاتخلو من معنى الاشارة والإيماء ولكنها قابلة للتصريح ولا كذلك الرمز والاشارة اذ هما يكونان بمنزلة التصريح كأشارتك الى شيء بعينه فهو كقولك هذا وذاك والمراد واضح» (المصطلح النقدي والبلاغي ، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس / جامعة سيدي محمد بن عبدالله ، عدد خاص (4)السنة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م : ٢٤٣) بيد أن هذه المنزلة خاصة بالمتلقي دون غيره .

(١٠) الايضاح في علوم البلاغة : ٢/٣٢٧ – ٣٢٨ .

(١١) جوهر الكنز : ١٠٥ – ١٠٦ .

الكلمات والحروف التي يتشكل منها المعنى أو المعاني الخفية ، الكامنـــة وراء أسماءٍ للطيور والوحش وسائر الأجناس أو حروف المعجم . وقد بُنـِيَ هذا النهج الاصطلاحي في توصيل المعاني الخفية على تأويل بعيد لما ورد في القرآن من حروف معجمية وأسماء نعـَمٍ وأوقات وكواكب كالتين والزيتون والفجر والعاديات والعصر والشمس على أنه منظومة من الرموز لا يفقه أسرارها إلا أئمة استودعوا علم القرآن (١٢) .

٢ – نوع من الاشارة يقوم على التلميح والاختصار والتلويح الذي يعـرف مجملاً ، وغير المباشرة في الدلالة .

٣ – نوع من اللغز خفي الدلالة لم يفصح عنه واضعه .

٤ – أداة وصف غير مباشر للشيء تمتلك مزايا جمالية بلاغية تفضل التصريح .

٥ – نوع من الكناية يمتاز بخفاء الدلالة أكثر من سائر أصنافها الأخرى من تعريض وتلويح وايماء واشارة .

٦ – جنس يرادف اللغز بايغاله في الغموض لكثرة ما ينطوي عليه من أرداف ووسائط دون معناه .

إن ما تنطوي عليه هذه الخطوط الفكرية العامة المستنبطة ، هنا ، من آراء البلاغيين والنقاد العرب من تباين واختلاف حول نسبة الرمز إلى مصطلح دون آخر من مصطلحات البلاغة كالاشارة والكناية واللغز ومدى أرجحيته عليها في درجة الخفاء ، لا يحول دون التماس قاسم مشترك بينها يعين عـلى

---

(١٢) : صاحب هذا الرأي يمضي على وفق نهج باطني مغرق «في تأويل الكتاب والسنة والتحرر من قيود اللغة والاصطلاح» (نقد النثر – منسوب خطأ الى قدامة بن جعفر – : ص ٦٢)، وهو يخلط بين مفهومه للرمز وبين رمزية افلاطون «فلم تكن رمزية هذا الفيلسوف اصطلاحاً بينه وبين بعض الناس مفهوماً بينهما مرموزاً عن غيرهما كما يقول» .
(الرمزية في الأدب العربي : ٤٥)

تحديد معالم مفهوم الرمز في (المنظور) البلاغي والنقدي العربي القديم (١٣). ولعل أهم ما يمكن استخلاصه في هذا الشأن هو احتفاء هذا (المنظور) بعنصر الغموض الذي يكتنف معنى الرمز، وهو عنصر ضروري في تشكيل ماهية الرمز الأدبي يقتضي استجلاؤه إثارة قدر من الترابطات الذهنية التي ينتظمها نوع من الحدس عند (المتلقي) أو منطق خاص، متصل بخبرات مشتركة بينه وبين المتكلم (المرسل)، وذلك بحسب جملة من المفاتيح والقرائن الوسائط، التي يعمد اليها المتكلم (المرسل) لتوصيل معناه أو معانيه بنوع من الخفاء، على وفق اعتبارات فكرية أو جمالية مختلفة. ودون هذا المعنى أو تلك المعاني الخفية (المدلول) يربض - بداهة - مبنى الرمز (اللفظ، الأداة (- الدال) الذي اختلف في نسبته وتسمياته بين البلاغيين والنقاد القدامى الأمر الذي يفضي إلى استنتاج مستويين اساسين للرمز في المنظور البلاغي والنقدي العربي القديم هما :

أ - مستوى اللفظ (الدال).

ب - مستوى المعنى أو المعاني الخفية (المدلول)

وأن بلوغ المعنى أو المعاني الخفية يتحقق للمتلقي بآلية انتقال متيدة بسلسلة كامنة من الوسائط واللوازم التي تصل بين مستوى (الدال) ومستوى (المدلول) كما أنه قد يتحقق في بعض الأجناس البلاغية كاللحن والوحي واللغز بنوع من الحدس الذي تثقفه الخبرة العميقة.

---

(١٣) في هذا الصدد، تجدر الاشارة الى ان للدكتور (درويش الجندي) محاولة جادة لتأصيل مذهب الغموض في الأدب العربي من خلال استقصاء ملامح رمزية - اسلوبية وموضوعية - عربية ترتكز على دعامتين : الإيجاز وغير المباشرة في التعبير، على أن (الجندي) لم يتقيد في استقصائه ذلك بلفظ الرمز أو حدوده في الموروث البلاغي القديم، بل بمفهوم اشتمل على كل ما يندرج تحت دعامتي الإيجاز وغير المباشرة في التعبير من مصطلحات الاشارة، والكناية، واللحن، واللغز، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، .. الخ، فكانت محاولته بحثاً في اصول التعبير الرمزي لا في مفهوم الرمز الاصطلاحي الأدبي عند العرب. (ينظر : الرمزية في الأدب العربي : ٤٣ - ٦٩).

وحيث يقترب مفهوم الرمز في الموروث البلاغي والنقدي العربي ويتصل بمفهومه في الفكر النقدي الحديث في جمالية الخفاء والغموض الذي يكتنف مستوى مدلوله ومداه ويستثير لدى المتلقي امكانية التأويل ، فانه يفترق عنه في احتيازه القرائن والوسائط واللوازم التي تمنحه خاصية العلامة أو الاشارة في الدلالة « على مشار اليه (محدد) » (١٤) ، إذ ان مفهوم الرمز الأدبي الحديث « ينأى عما هو من خصائص المجاز كالقرينة لأن التأويل فيه غالباً ما يعتمد على مجرد ارتباطاتنا وذكرياتنا العاطفية التي لا أساس لها في أية مقارنة منطقية» (١٥) ، كما أنه يملك طاقة ايحائية بمدى متعدد الدلالات ، إذ هو في جوهره « لا نهائي لأنه يصور شيئاً لا نهائياً » (١٦) .

(١٤) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : ٤٠ .
(١٥) المرجع السابق : ٣٠٤ .
(١٦) الموسوعة الفلسفية : ٢٢٩ .

١ – الايضاح في علوم البلاغة :
جلال الدين محمد بن عبدالرحمن المعروف بالخطيب القزويني (٧٣٩هـ)، مكتبة المثنى – بغداد، (طبعة بالاوفسيت)، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة (د.ت).

٢ – بديع القرآن :
ابن ابي الاصبع المصري، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٧.

٣ – البرهان في وجوه البيان :
أبو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: د.احمد مطلوب، د. خديجة الحديثي، مطبعة العاني – بغداد، ط١، ١٩٦٧م.

٤ – جوهر الكنز :
نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي (٧٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالاسكندرية، (د.ت).

٥ – دلائل الاعجاز :
عبدالقاهر الجرجاني، تصحيح الأصل: محمد عبدة، ومحمد محمود التركزي الشنقيطي، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت، ١٩٧٨م.

٦ – الرمز والرمزية في الشعر المعاصر :
د. محمد فتوح احمد، دار المعارف – بمصر، ط٢، ١٩٧٨م.

٧ – الرمزية في الأدب العربي :
د. درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة، (د.ت).

٨ – العمدة :
أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (٤٥٦هـ)، تحقيق : محمد

محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة — بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٢م .
٩ — معجم المصطلحات البلاغية وتطورها :
د. احمد مطلوب ،مطبعة المجمع العلمي العراقي ،بغداد ، ١٩٨٧م.
١٠ — الموسوعة الفلسفية :
م. روزنتال ، ب يودين ، وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفييت ، ترجمة : سمير كرم، دار الطليعة — بيروت ، ط ٦، ١٩٨٧م .
١١ — نقد الشعر :
أبو الفرج قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) ، تحقيق وتعليق : د. محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية — بيروت ، د.ت .
١٢ — نقد النثر :
منسوب خطأ إلى قدامة بن جعفر (في الأصل : البرهان في وجوه البيان) ، تحقيق : د. طه حسين ،وعبدالحميد العبادي ، مطبعة مصر ، ١٩٣٩م
١٣ — نهاية الأرب في فنون الأدب :
شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويري (٧٣٣هـ) ، (نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستاتسوماس وشركاه ، ١٩٦٣م .